

دلالة «بَيْنَ الْيَدِ» فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

Qays Abdullah MUHAMMED*

خلاصة* وردت عبارة «بَيْنَ الْيَدِ» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (40) مرة في (39) آية: وخلاصة هذه المقالة البسيطة أَنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ الْجَاهِلِيَّ، وَسِيَاقَ الْقُرْآنِ، وَدَلَالَةَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ: مَتَّفِقَةٌ أَنَّ مَعْنَى «بَيْنَ يَدَيْكَ» أَي أَمَامَكَ، قُدَّامَكَ، قَرِيبَ مِنْكَ، وَيَتَّبِعُهَا مَعَانٍ لَازِمَةٌ لَهَا مِثْلُ: «عِنْدَكَ» وَ«حَاضِرٌ» وَ«مُشَاهَدٌ» وَ«مَوْجُودٌ» وَهَذَا سِوَاءَ كَانِ فِي الزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ.

وقد تدلُّ على الزمانِ الماضي والمستقبلِ القريبِ.

* وبتطبيق هذا المعنى في تفسير القرآن: يتضح أن الآيات التي تشير إلى «القرآن مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» تدلُّ على: أن كلَّ ما في «الواقع» الذي بين يدي القرآن في كلِّ زمان ومكان يشهد له بالصدق والحقيَّة.

* وبتطبيق هذا المعنى أيضاً تنسق وتتضح معاني كل الآيات التي ذكرت عبارة «بَيْنَ الْيَدِ».

* ومن خلال هذا يتبين عدمُ صحة قول الإمام ابن عطية: أَنَّ مَعْنَى «بَيْنَ الْيَدِ»: ما مضى من الزمانِ، لا غيرَ.

الاصطلاحات: «بَيْنَ الْيَدِ»، القُرْبُ، قُدَّامُ، مطابقة الواقع، الإعجاز، ابن عطية، الماضي، التوراة والإنجيل، المجاز

Kur'an-ı Kerim'de "Beyne'l-Yed" in («بَيْنَ الْيَدِ» Anlamı:

Özet:*

«بَيْنَ الْيَدِ» Beyne'l-Yed" ifadesi Kur'an-ı Kerim'de 39 ayette, 40 defa geçmektedir. Bu mütevazı makalenin ana fikri şudur: Cahiliye dönemi Arap şiiri, Kur'an'ın bağlamı ve hadis-i şeriflerin işaret ettiği anlam ile "بين يديك" yani "önünde, huzurunda, sana yakın" ifadesinin anlamı uyumludur. "Yanında", "hazır", "görülen", "var olan" gibi kendisine eşlik eden manâlar bunu izlemektedir. Bu anlam, ister zaman ister mekan ifade etsin, aynıdır, yakın geçmiş ve geleceği gösterebilir .

* Bu anlamın Kur'an tefsirine uygulanmasıyla şu sonuç ortaya çıkmaktadır: Kur'an'ın, önündekini tasdik eden (musaddık) olduğuna işaret eden ayetler onun, her zaman ve her yerde önünde gerçekleşen şeylerin hepsine doğru ve gerçek bir şekilde tanıklık ettiğini göstermektedir.

* Yine bu anlamın uygulanmasıyla, "بَيْنَ الْيَدِ" "beyne'l-yed" ifadesinin zikredildiği bütün ayetlerin manâları, uyumlu ve açık olmaktadır.

* Yukarıdaki bilgiler ışığında İmam İbn Atıyye'nin "بَيْنَ الْيَدِ" "beyne'l-yed" ifadesi hakkında " Bunun anlamı geçmiş zamanla ilgilidir, başka zamanla değil." şeklindeki görüşünün doğru olmadığı ortaya çıkmaktadır.

Terimler: "بَيْنَ الْيَدِ" "Beyne'l-Yed" , yakınlık, ön, gerçekle uyumluluk, eşsizlik (i'caz), İbn Atıyye, geçmiş zaman, Tevrat, İncil, mecaz

* Yrd. Doç Dr., Hitit Ü. İlahiyat Fakültesi Öğretim Üyesi.

**“Between the hands” in the Holy Quran «بَيْنَ يَدَيْكَ» The significance of
Abstract ;* The phrase “between the hands” comes in the Quran (40) once in
(39) Ayah.**

Abstract this article that Arabic Jahili poetry, and the context of the Quran , and the significance of the Hadiths; agrees that the meaning of «بَيْنَ يَدَيْكَ» “between your hands”, front of you , near you, followed by necessary meanings such as: “ toward , around you” and “present” and “ seen” and “exist”, whether in time or place.

And that might indicate to the near past or immediate future

* Applying this significance on the interpretation of the Quran; it is clear that the Ayaat “verses” of the Quran which indicate that “ the Quran confirming what was between his hands”: all that is in the “facts” which between the hands of the Quran in every time and place was Witnessing that the Quran truthful honest and right.

* applying this significance, also the meanings of all the Ayaat “verses” of the Quran that mention the words “ between the hands” will consistent and clear up .

* And through this, shows invalidity of Say” Imam Ibn Atiya”: that the meaning of “ between the hands”: What a decade ago only, however.

Keywords: «بَيْنَ يَدَيْكَ» “between the hands” , near, front of, match the fact, the miraculous, Ibn Atiya, past time, the Torah and the Gospel, metaphor

إنّ كلمات القرآن الكريم وعباراته إنّما اختارها الله على علمٍ وخبرةٍ ولطفٍ؛ فلا بدّ من عندها البتة، وما أحسن ما قاله ابن عطية الأندلسي (ت1148/542) وتوفّي عليه الرافعي (ت1937/1356): حيث أشاروا إلى أنّ نظّم القرآن مُتميِّزٌ باعتبار الحروف والكلمات بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، ويستحيل أن يقع في تركيبه كلمة زائدة أو حرف مُضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، بل نزلت جُمْلُهُ وكلماته وحروفه منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة العالية الكاملة، بحيث لو نزعَتْ كلمةٌ منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أُديرت لسان العرب كلّهُ على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيا ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة البتة¹.

وقد أراد الباحث من هذه المقالة المتواضعة تحقيق معنى قوله تعالى: {بَيْنَ يَدَيْهِ}؛ وذلك من خلال الاطلاع على لغة العرب واصطلاح القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والردّ على الإمام ابن عطية في ادعائه أنّ معنى: «بَيْنَ يَدَيْهِ»: ما مضى من الزمان، لا غير؛ ومن ثمّ فسوف يتبيّن لنا معانٍ رائعة تزيد من جمال القرآن ووضوحه، وسينكشف لنا بإذن الله ضعف بعض الأقوال والتفسيرات.

وقد تكرر قوله تعالى: {بَيْنَ يَدَيْهِ} (26) مرة في (25) آية على النحو التالي:

1 ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422، ج1، ص52؛ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص. 155.

- 1 { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }²
- 2 { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ }³
- 3 { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ }⁴
- 4 { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَوَعْدًا لِّكُلِّ بَعْضِ الَّذِي هَدَيْتُمْ وَأَنَّكُمْ بِآيَاتِهِ مِن رَّبِّكُمْ }⁵
- 5 { وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }⁶
- 6 { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ }⁷
- 7 { وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا }⁸
- 8 { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَاهُ لِيُنزِلَ مِمَّيْتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ }⁹
- 9 { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ }¹⁰
- 10 { مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }¹¹
- 11 { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }¹²
- 12 { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }¹³
- 13 { أَمْ نَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }¹⁴
- 14 { وَمِنَ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ }¹⁵
- 15 { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ }¹⁶

2	البقرة، 2/66
3	البقرة، 2/97
4	آل عمران، 3/3
5	آل عمران، 3/50
6	المائدة، 5/46
7	المائدة، 5/48
8	الأنعام، 6/92
9	الأعراف، 7/57
10	يونس، 10/37
11	يوسف، 12/111
12	الرعد، 13/11
13	الفرقان، 25/48
14	النمل، 27/63
15	سبأ، 34/12
16	سبأ، 34/31

- 16 { إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }¹⁷
- 17 { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ }¹⁸
- 18 { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }¹⁹
- 19 { وَقَدْ خَلَّتِ النَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }²⁰
- 20 { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ }²¹
- 21 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }²²
- 22 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ }²³
- 23 { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }²⁴
- 24 { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ }²⁵
- 25 { إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا }²⁶
- إما قوله تعالى: { بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } فقد تكرر (14) مرة في (14) آية على النحو التالي:
- 1 { ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ }²⁷
- 2 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ }²⁸
- 3 { وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ }²⁹
- 4 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }³⁰

17	سبأ، 34/46
18	فاطر، 35/31
19	فصلت، 41/42
20	الأحقاف، 46/21
21	الأحقاف، 46/30
22	الحجرات، 49/1
23	الحجرات، 49/12
24	الحجرات، 49/13
25	الصف، 61/6
26	الجن، 72/27
27	الأعراف، 7/17
28	البقرة، 2/255
29	مريم، 19/64
30	طه، 20/110

- 5 {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} ³¹
- 6 {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} ³²
- 7 {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نَحْسِفِ بِهِمُ الْأَرْضَ} ³³
- 8 {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} ³⁴
- 9 {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ³⁵
- 10 {إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} ³⁶
- 11 {وَقَبِضْنَا لَهُمُ قَرْنَاءَ فَرَزَقْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} ³⁷
- 12 {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ} ³⁸
- 13 {وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} ³⁹
- 14 {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} ⁴⁰
- وقد قُسِّمَ البحث على النحو التالي:

المبحث الأول مَعْنَى «بَيْنَ» و «يَدٍ» وَمَعْنَى عِبَارَةِ «بَيْنَ يَدَيْهِ»:

قال الراغب (ت1108/502): «بَيْنَ» موضوعٌ للخلالة بين الشئين ووسطهما. قال تعالى: وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ⁴¹, وَيُسْتَعْمَلُ تارةً أسما وتارةً ظرفاً.... وَلَا يُسْتَعْمَلُ «بَيْنَ» إِلَّا فيما كان له مسافةٌ، نحو: بين البلدين، أو له عددٌ ما اثنان فصاعداً نحو: الرجلين، وبين القوم) ⁴²، وقال السيوطي (ت1505/911): «بَيْنَ» للمكان، وقيل للزمان، وَقَالَ الرَّجْزَانِي (ت1258/656) بِحَسَبِ مَا تَضَافُ إِلَيْهِ ... قَالَ أَبُو حَيَّان (ت1344/745) أَصْلُ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ ظَرْفًا لِلْمَكَانِ وَتَتَخَلَّلَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَوْ مَا فِي تَقْدِيرِ شَيْئَيْنِ أَوْ أَشْيَاءٍ ⁴³

ويقول الجرجاني (ت1078/471): (بين الشئين: ما توسطهما من المكان أو الحال).

31 الأنبياء، 21/28

32 الحج، 22/76

33 سبأ، 34/9

34 يس، 36/9

35 يس، 36/45

36 فصلت، 41/14

37 فصلت، 41/25

38 الحديد، 57/12

39 المتحنة، 60/12

40 التحريم، 66/8

41 الكهف، 18/ص32

42 الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ص. 156

43 السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المكتبة التوفيقية - مصر، ج2/ص203

و(اليد): اسمٌ للجراحة التي هي بمنزلة الجناح ... والأصل: يَدِي، والجمع: الأيدي⁴⁴

وبعد هذا سنحكي أقوال العلماء من أهل اللغة والمفسرين وشُرَّاح الحديث في دلالة «بَيْنَ يَدَيْهِ» ليتضح المعنى حقيقة ومجازاً:

يقول الخليل بن أحمد (ت786/170): (يقولون: «بين يدي» لكل شيء أمامك، قال الله: مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ . وكقولهم: يُثَوِّرُ الرَّهَجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَطَرِ، وَيَهْبِجُ السَّيْبَابُ بَيْنَ يَدَيِ الْقِتَالِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ)⁴⁵؛ ويقول الشريف الرضي (ت406/1015): (قول العرب: كذا «بين يدي»، كذا وجهان: أحدهما أن تكون بمعنى تقدّم الشيء للشيء. يقول القائل لغيره: أنا بين يديك، أي قريب منك. وقد مضى فلانٌ بين يديك، أي تقدّم أمامك)⁴⁶، ويقول الواحدي (ت468/1076): («بَيْنَ الْيَدَيْنِ» عبارة عن الأمام، لأن ما بين يدي الإنسان أمامه)⁴⁷، ويقول الزمخشري (ت538/1143): (وحقيقة قولهم: جلست بين يدي فلان، أن يجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسَمَّيتِ الجهتان يَدَيْنِ لِكُونِهِمَا عَلَى سَمْتِ الْيَدَيْنِ مَعَ الْقَرَبِ مِنْهُمَا تَوْسَعًا، كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا جَاوَرَهُ وَدَانَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ)⁴⁸، ويقول ابن عطية: (ومعنى «بين يدي رحمته» أمام نعمته ... والتعويض عن أمام الرحمة بقوله: «بين يدي» من مجاز الاستعارة؛ إذ الحقيقة: هو ما بين يدي الإنسان من الإجماع)⁴⁹، ويقول ابن منظور (ت711/1311): (يقال بين يديك كذا لكل شيء أمامك)⁵⁰، ويقول الخازن (ت741/1341): (ما بَيْنَ يَدَيْهِ فهو أمامه)⁵¹، ويقول أبو حيان (ت745/1344): (يقال: هو بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا كَانَ قُدَّامَهُ غَيْرَ بَعِيدٍ)⁵²، ويقول النَّيْسَابُورِيُّ (ت بعد 850/بعد 1446): (والعربُ تَسْتَعْمَلُ الْيَدَيْنِ بَدَلَ قُدَّامٍ وَأَمَامٍ مَجَازًا: لِأَنَّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْحَيَوَانِ مَتَقَدِّمَانِ عَلَى الرَّجْلَيْنِ)⁵³، ويقول البروسوي: (ت1127/1715): (وَبَيْنَ الْيَدَيْنِ: بِمَعْنَى بَيْنَ الْجِهَتَيْنِ. وَالْجِهَةُ الَّتِي بَيْنَهُمَا هِيَ جِهَةُ الْأَمَامِ وَالْقُدَّامِ، فَقَوْلُكَ: جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ: بِمَعْنَى: جَلَسْتُ أَمَامَهُ وَبِمَكَانٍ يُحَاذِي يَدَيْهِ قَرِيبًا)⁵⁴، ويقول الخطيب الشربيني (ت977/1570): (ما بِحَضْرَةِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَاطِرٌ إِلَيْهِ)⁵⁵، (ويقال هذا الشيء بين يديك: أي قريباً منك)⁵⁶، وقال أبو زهرة (ت1394/1974): (يقال: الْأَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ: أَي: أَنَّهُ حَاضِرٌ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ)⁵⁷، وقال: (وعبر سبحانه وتعالى عن الحاضرين بقوله: (مَا بَيْنَ يَدَيْهَا) كناية عن وجودها معهم، وأنها على مقربة منهم، قرب «ما بَيْنَ الْيَدَيْنِ مِنَ الصَّدْرِ، وَالَّذِينَ تَحْوِطُهُمْ وَيَحْوِطُونَهَا»⁵⁸. ويقول الشعراوي (ت1419/1998): (يتعرض العلماء إلى قوله تعالى: «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» يشرحون لنا أن «ما بَيْنَ الْيَدَيْ» أي ما أمامك ... وما بين يدي الإنسان يكون: مُوَاجِهًا لِأَلَّةِ الْإِدْرَاكِ الرَّائِدَةِ وَهِيَ الْعَيْنُ، فَهُوَ أَمْرٌ يُشْهَدُ، وَالَّذِي فِي الْخَلْفِ يَكُونُ

44 الجرجاني، درج الدرر في تفسير الاي والسور، دار الفكر، عمان، الأردن، 1430، ج1/ص174

45 الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، دار ومكتبة الهلال، ج8/ص102

46 الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت، ج2/ص116

47 الواحدي، التفسير الوسيط، دار الكُتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415، ج4/ص150

48 الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج4/ص349

49 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2/ص413

50 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج15/ص419

51 الخازن، لياح التأويل في معاني التنزيل، دار الكُتب العلمية – بيروت، 1415 هـ، ج1/ص224

52 أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ج3/ص15

53 النَّيْسَابُورِيُّ، غرائب القرآن ورفائف الفرقان دار الكُتب العلمية – بيروت، 1416 هـ، ج3/ص261

54 إسماعيل حقي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، ج9/ص61

55 الخطيب الشربيني، السراج المنير، مطبعة بولاق، القاهرة، 1285هـ، ج4/ص60

56 البركي، التعريفات الفقهية، دار الكُتب العلمية، 1424هـ، ص49

57 أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج3/ص1233

58 المصدر السابق، ج1/ص263،

غيباً لا يراه، كأنَّ «ما بيْنَ يَدَيْهِ» يُراد به المشهود⁵⁹، وقال ابن عاشور (ت1973/1393): «(مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ) مَعْنَاهُ الْفُرْبُ»⁶⁰، (وَأَصْلُ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: بَيْنَ يَدَيْ فَلَانٍ، أَنَّهُ يَكُونُ أَمَامَهُ بِقُرْبٍ مِنْهُ ... وَسَاءَ أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَجَازًا فِي التَّقَدُّمِ وَالسَّبْقِ الْقَرِيبِ)⁶¹

وقال العيني (ت1451/855): «قوله: «بين يدي الصف» هو مجازٌ عن القُدَامِ لِأَنَّ الصَّفَّ لَا يَدُ لَهُ»⁶².

وكذا قال الزرقاني (ت1948/1367)⁶³ والكرماني (ت1384/786)⁶⁴ والمباركفوري (ت1934/1353)⁶⁵ وغيرهم من شُرَاح الحديث، وقال العظيم آبادي (ت بعد 1310/بعد 1892): «(مَا بَيْنَ يَدَيْهِ) مِنْ مَجَازِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ: فَهُوَ أَمَامَهُ، فِقِيلٌ: لِكُلِّ شَيْءٍ تَقَدَّمَ عَلَى الشَّيْءِ ... قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ (ت28/940) الْيَدَانِ تُسْتَعْمَلُهُمَا الْعَرَبُ فِي الْمَجَازِ عَلَى مَعْنَى التَّقْدِيمَةِ ... وَالْحَاصِلُ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ يُسْتَعْمَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ قُدَامَهُ وَأَمَامَهُ»⁶⁶.

قال الفراء (ت144/761): «(مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ)⁶⁷ أَي أَنهَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ لِرَجُلٍ وَرَاءَكَ: هُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا لِرَجُلٍ هُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ: هُوَ وَرَاءَكَ، إِنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمَوَاقِيتِ مِنَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَالذَّهْرِ أَنْ تَقُولَ: وَرَاءَكَ بَرْدٌ شَدِيدٌ: وَبَيْنَ يَدَيْكَ بَرْدٌ شَدِيدٌ لِأَنَّكَ أَنْتَ وَرَاءَهُ فَجَازَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ يَأْتِي، فَكَأَنَّهُ إِذَا لِحَقَّ صَارَ مِنْ وَرَائِكَ، وَكَأَنَّكَ إِذَا بَلَغْتَهُ صَارَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِذَلِكَ جَازَ الْوَجْهَانِ»⁶⁸. وقال الشَّهَاب (ت1659/1069): «(مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)» الْآخِرَةُ لِأَنَّهَا مُسْتَقْبَلَةٌ آتِيَةٌ، وَمَا هُوَ كَذَلِكَ كَأَنَّهُ بَيْنَ الْيَدَيْنِ، وَمَنْ فَسَّرَهُ بِالذُّنُوبِ فَلِأَنَّهَا حَاضِرَةٌ مُشَاهِدَةٌ»⁶⁹، وقال: (فُسِّرَ «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»): بِمَا كَانَ قَبْلَهُمْ وَهُوَ الْمَاضِي، وَمَا خَلْفَهُمْ: بِمَا سِيَّاتِي بَعْدَهُمْ وَهُوَ الْمُسْتَقْبَلُ لِأَنَّهُ يُقَالُ لِمَا تَقْدَمُ: بَيْنَ الْيَدَيْنِ: لِأَنَّ مَا بَيْنَهُمَا لَا يَدُ أَنْ يَكُونَ مُتَقَدِّمًا. وَمَا سِيَّاتِي بِقَالَ: إِنَّهُ خَلْفُهُ: أَي: بَعْدَهُ وَمَغِيبٌ عَنْهُ وَمُسْتَوْرٌ. أَوْ عَلَى الْعَكْسِ: وَبِأَنَّهُ: بِأَنَّكَ تُسْتَقْبَلُ مَا سِيَّاتِيكَ، وَتُسْتَدِيرُ مَا مَضَى، وَهُوَ ظَاهِرٌ. وَإِطْلَاقُ «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا: لِأَنَّهَا حَاضِرَةٌ، وَالْحَاضِرُ يُعْبَرُ عَنْهُ بِذَلِكَ. وَأُمُورُ الْآخِرَةِ مُسْتَوْرَةٌ كَمَا يَسْتَبْرُجُ عَنْكَ مَا خَلْفَكَ. وَأَمَّا الْعَكْسُ: فَلِأَنَّ أُمُورَ الْآخِرَةِ مُسْتَقْبَلَةٌ، وَتِلْكَ مَاضِيَةٌ»⁷⁰، وفسر البيضاوي (ت1286/685)، وابن عجيبة (ت1809/1224) قوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» بِالْمُسْتَقْبَلِ: وَعَلَّلُوهُمَا بِقَوْلِهِمْ: (لِأَنَّكَ مُسْتَقْبَلُ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُسْتَدِيرُ الْمَاضِي)⁷¹، وقال ابن عاشور: «(وَمَا بَيْنَ الْأَيْدِي: يُرَادُ مِنْهُ الْمُسْتَقْبَلُ وَمَا هُوَ خَلْفُ يَرَادُ مِنْهُ الْمَاضِي) ... وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ هَذَيْنِ التَّرْكِيبَيْنِ تَمَثُّلَانِ فَتَارَةً يَنْظُرُونَ إِلَى تَمَثُّلِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ بِسَائِرِ إِلَى مَكَانٍ فَالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ مَا سَبَّرُ هُوَ عَلَيْهِ، وَالَّذِي مِنْ وَرَائِهِ هُوَ مَا خَلْفَهُ خَلْفَهُ فِي سَبْرِهِ، وَتَارَةً يَنْظُرُونَ إِلَى تَمَثُّلِ الْمُضَافِ بِسَائِرِ، فَهُوَ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَقَدْ سَبَقَهُ فِي السَّبْرِ فَهُوَ سَابِقٌ لَهُ وَإِذَا كَانَ خَلْفَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَقَدْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فَهُوَ وَارِدٌ بَعْدَهُ»⁷²

59 الشعراوي، التفسير، مطابع أخبار اليوم، 1995، ج2، ص1098

60 ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج26، ص46

61 المصدر السابق، ج8، ص180

62 بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص69

63 محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ، ج1، ص539

64 شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1356هـ، ج2، ص50

65 المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الجامعة السلفية، بنارس الهند، 1404هـ، ج2، ص499

66 العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج3، ص304، إبراهيم، 14/16

67 إبراهيم، 14/16

68 الفراء، معاني القرآن، الدار المصرية، ج2، ص157

69 شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشَّهَاب عَلَى التَّبِيضَاوِي، الْمُسْتَأْنَا: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّضَاوِي، دَارِ صَادِرِ، بِيْرُوتِ، 4/ص155

70 المصدر السابق، ج2، ص33

71 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، 1418هـ، ج1، ص154: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، القاهرة: 1419هـ، ج1، ص286

72 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص30،

إِذْنِ فَمَعْنَى «بَيْنَ يَدَيْكَ» أَي أَمَامِكَ، قُدَّامَكَ، قَرِيبَ مِنْكَ؛ هَذِهِ هِيَ الدَّلَالَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِيهَا، وَيَلْحَقُهَا مَعَانٍ لَازِمَةٌ لَهَا مِثْلُ: «عِنْدَكَ» وَ«حَاضِرٌ» وَ«مُشَاهِدٌ» وَ«مَوْجُودٌ»، وَهَذَا سِوَاءَ كَانٍ فِي الزَّمَانِ أَوْ الْمَكَانِ.

وإن دلَّ على الزمان الماضي والمستقبل: فالمقصود الماضي والمستقبل القريب، والله أعلم

وبعد أن سُقْنَا جَمَلَةً مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ: فَلِنَنْتَقِلْ إِلَى الْاِسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا مِنْ إِشَارَاتِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ لِنُؤَيِّدَ هَذَا الْمَعْنَى وَنُؤَكِّدَهُ.

فمما يقويه: مقابلته بـ«الخَلْفَ» في (16) آية كما قد رأيت .

وأما الشَّعْرُ الْجَاهِلِيُّ فَلَمْ أَعثرْ إِلَّا عَلَى أَبِياتٍ قَلِيلَةٍ ذُكِرَتْ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ؛ وَكُلُّهَا بِنَفْسِ الْمَعْنَى الْمَشَارِإِلَيْهِ: قَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي (ت نحو 18 ق.هـ/ نحو 604) وَقَدْ رَأَى حَصَاداً أَلْقَى سُنْبَلَةً بَيْنَ يَدَيِ الْإَوْزْرِ فَقَلَعَتْ حَبّاً مِنْ سَنَابِلِهِ فَأَكَلَتْ الْحَبَّ وَافْتَحَصَتْ التَّبْنَ:

تَرَى الْإَوْزِينَ فِي أَكْنافِ دَارَتِهَا..... فَوْضَى وَيُنَّ يَدَيْهَا التَّيْنَ مَنْثُورٌ⁷³

وقال عنترة العبسي (ت نحو 22 ق/ نحو 600) يصف قُدومه أمام ملك العراق لأجل مهر «عبلة» حبيبته:

وقادوني إلى ملك كريم..... رفيع قدره في العزراقي

قد لأقيت بين يديه ليثاً..... كربة الملتقى مر المداق⁷⁴

وقال أيضاً يصف شجاعته:

وما لى شجاع الحرب إلا..... ويئن يديه شخص من مثالي⁷⁵

وقال أيضاً يصف سيره في الفلاة مفرداً بلا خوف، ورؤيته لغول:

والغول بين يدي يخفى تارة..... ويعود يظهر مثل ضوء المشعل

بنواظرزرق ووجه أسود..... وأظافر يشهن حد المنجل⁷⁶

وقالت الخنساء (ت 24هـ/ 645 م) ترثي أباها صخرًا:

ألا ليت أمي لم تلدني سوياً..... وكنت تُراباً بين أيدي القوايل⁷⁷

وقال حاتم الطائي (ت 46 قهـ/ 578 م) يصف رائحة اللحم عند اشتداد غليان القدر⁷⁸:

كأن رياح اللحم ، حين تغططت..... رياح عبير بين أيدي العواطر

وأما الآثار النبوية الشريفة: فكذلك جاءت كلها بهذه المعاني المقررة لم تخرج عنها أبداً، واليك جملة مما في البخاري:

73 ديوان النابغة الذبياني، شرح حنا نصر الحقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991، ص، 87؛ وانظر الفراهيدي، العين، ج8/ص 57

74 الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992، ص، 108

75 المصدر السابق، ص، 129

76 المصدر السابق، ص، 137، الفلاة: الصحراء؛ والغول: تزعم العرب أنه نوع من الشياطين.

77 ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ص، 94. القوايل: جمع قابلة؛ وهي التي تُؤلِّدُ النساء.

78 ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، 1401هـ، ص، 53.

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ (رض)، قَالَ: «صَلَّى النَّبِيُّ (ص) الظُّهْرَ رُكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رُكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَزْرَةٌ»⁷⁹

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رض)، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فَلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ»»⁸⁰

وَعَنْ أَبِي جُهَيْمٍ (رض) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارِيئِيُّ يَدِي الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»⁸¹

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي فُحَّافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)»⁸²

وَعَنْ أَنَسٍ (رض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «لَا يَتَفَلَّنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ بَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ»⁸³

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ (رض)، «كَانَ النَّبِيُّ (ص) يُعْذُو إِلَى الْمُصَلِّي وَالْعَزْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ تُحْمَلُ، وَتُنْصَبُ بِالْمُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُصَلِّي إِلَيْهَا»⁸⁴

وَعَنْ عَبْدِ بَنِ حَاتِمٍ (رض)، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): لَيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ...»⁸⁵

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ (ص) مَكَّةَ، اسْتَقْبَلَتْهُ أُعَيْلِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَتْ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَّرَ خَلْفَهُ»⁸⁶

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رض)، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ (ص)، وَقَدْ مُئِلَ بِهِ، وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ...»⁸⁷

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَمْنَعَهُ...»⁸⁸

وَعَنْ جَابِرٍ (رض)، قَالَ: عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالنَّبِيُّ (ص) بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُودَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكُودَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ...»⁸⁹

وَعَنْ بِلَالٍ (رض)، قَالَ النَّبِيُّ (ص): «سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ فِي الْجَنَّةِ»⁹⁰

عَنْ أَنَسٍ (رض)، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْتَهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ (ص)، وَأَبُو طَلْحَةَ (رض) بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ (ص)

79 محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، باب استغفالي ففضل وضوء الناس، دار طوق النجاة، 1422 هـ ج 1/ص 9

80 المصدر السابق، كتاب الاذان، باب الخشوع في الصلاة، ج 1/ص 149:

81 المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب إنعم المارئين يدي المصلّي، ج 1/ص 108

82 المصدر السابق، كتاب الاذان، باب، أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ج 1/ص 137

83 المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب حلك البزاق باليد من المسجد، ج 1/ص 90

84 المصدر السابق، العيدين، باب حمل العزرة أو الخزرة بين يدي الإمام يوم العيد، ج 2/ص 20

85 المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب، أنفوا النار ولو يشق تمررة والقليل من الصدقة، ج 2/ص 109

86 المصدر السابق، العمرة، باب استقبالي الحاج القادمين والثلاثة على الدابة، ج 3/ص 7

87 المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ظن الملايكة على الشهيدي، ج 4/ص 21

88 المصدر السابق، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج 4/ص 123

89 المصدر السابق، كتاب المناقب، باب غلغلات النبوة في الإسلام، ج 4/ص 193

90 المصدر السابق، كتاب المناقب، باب مناقب بلال بن رباح، ج 5/ص 27

مُجَوَّبٌ عَلَيْهِ بِحَجْفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا زَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا...»⁹¹

وَعَنْ أَنَسٍ (رَض)، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ص) عَلَى غُلَامٍ لَهُ حَبِيطٌ، فَقَدَّمْ إِلَيْهِ قَصْعَةً فِيهَا تَرِيدٌ، قَالَ: وَأَقْبَلْ عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ: «فَجَعَلَ النَّبِيُّ (ص) يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ» قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَّبِعُهُ فَأَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: فَمَا زِلْتُ بَعْدُ أُحِبُّ الدُّبَاءَ»⁹²

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «إِنَّ الْمَكْثِرِينَ هُمُ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَفَنَحَّ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»⁹³

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رَض)، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَيَّ قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سَنِينَ، كَأَلْمُودَعٍ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمُنْبَرُ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ - سابق -»⁹⁴

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رَض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحْ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ...»⁹⁵

وَعَنْ أَبِي مُوسَى (رَض): قَالَ النَّبِيُّ (ص): «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْتُمُ فِيهَا الْهَرَجُ»⁹⁶

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَض)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «قَرِيبٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ»⁹⁷

فَإِذَا هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةُ بِمَجْمُوعِهَا، مَا قَرَّرَ أَعْلَاهُ مِنَ الْمَعَانِي .

المبحث الثاني: الردُّ على الإمام ابن عطية

ورغم وضوح هذا المعنى إلا أنَّ ابن عطية رحمه الله أصرَّ على أنَّ معنى بَيْنَ يَدَيْهِ (في الزمان): هو المتقدم الماضي من الزمان ولا يُمكن أن يكون المستقبل أبداً؛ فقال: (وقوله الَّذِي «بَيْنَ يَدَيْهِ» يريد التوراة والإنجيل، والذي «بَيْنَ يَدَيْهِ» هو المتقدم للشيء، وقالت فرقة في هذه الآية: إن الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ هي أشرط الساعة وما يأتي من الأمور... وهذا خطأ، والأمر بالعكس؛ كتاب الله تعالى بين يدي تلك)⁹⁸. وقال أيضاً: (وقالت فرقة: «الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» هي الساعة والقيامة... وهذا خطأ؛ فأنه لم يفهم أمر «بَيْنَ يَدَيْهِ» في اللغة؛ وأنه المتقدم في الزمان)⁹⁹، بل إنَّه من شدة إصراره يُشكِّك في رواية ابن عباس (ت68/68) وفتادة (ت737/118)، فيقول: (وقال ابن عباس: فَجَعَلْنَاهَا تَكَاَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا: أَي مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ النَّاسِ لِيَحْدَرُوا بِي... وما أراه يصحُّ عن ابن عباس (رَض)، لأنَّ دلالة ما «بَيْنَ يَدَيْهِ» ليست كما في القول)¹⁰⁰. وقال أيضاً: (وقال ابن عباس وفتادة فيما روي - وما أراه صحَّحاً عنهما -: «ما بين الأيدي»: هي الآخرة)¹⁰¹، وما خَلَّفَ: هو الدُّنْيَا، وهذا مختلُّ المعنى

91 المصدر السابق، كتاب المغازي، باب إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّمَا، ج5/ص96

92 المصدر السابق، كتاب الأُطعمة، باب التَّريُّد، ج7/ص75

93 المصدر السابق، كتاب الرِّقاق، بابِ، الْمُكْثُرُونَ هُمُ الْمُقْلُونَ، ج8/ص94

94 المصدر السابق، كتاب المغازي، بابِ غَزْوَةِ أُحُدٍ، ج5/ص94

95 المصدر السابق، كتاب الجزية، بابِ مَا يُحْدَرُ مِنَ الْغَدْرِ، ج4/ص101

96 المصدر السابق، كتاب الفتن، بابِ طُهُورِ الْفِتَنِ، ج9/ص48

97 المصدر السابق، كتاب الجهاد والسيِّر، بابِ قِتَالِ التُّرْكِ، ج4/ص43: أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، ج16/ص135

98 ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3/ص120

99 ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4/ص421

100 ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1/ص161

101 وإنما يسع أن يطلق على «الآخرة» أنها بين اليد: لأنَّ القرآن قرر «فُرُوبَهَا» في أكثر من آية؛ مثل قوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} الأنبياء، 1/21، وقوله:

إلا على التشبيه بالمكان لأنَّ «ما بيّن اليَدَ»: إنما هو ما تقدم وجوده في الرّمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن¹⁰²؛ وُرِدَ عليه من وجوه منها:

ما ردَّ عليه الألوسي؛ فقال: (وَحَطًّا ابْنُ عَطِيَّةٍ قَائِلُهُ بِأَنَّ «مَا بَيَّنَّ الْيَدَ» فِي اللُّغَةِ الْمُتَقَدِّمِ. وَتُعْقِبُ بِأَنَّهُ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَا مَضَى وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا سَيَأْتِي)¹⁰³

وكلام ابن عطية غريب جدا يخالف تفسير العلماء لـ«ما بيّن اليَدَ» بالمستقبل؛ بحيث لا يكادُ يخلو أيُّ تفسيرٍ منها. وقد رأيتم قبل قليل قول العلماء: إن الأصل فيه الحاضر، وإن جاء على الماضي فالمقصود القُرْب .

بل حتى العلماء الذي ذكروا: أن «ما بيّن اليَدَ» هو الكُتُبُ الماضية؛ أولوه وأشاروا إلا أنه مجاز خلاف الحقيقة: قال الواحدي: (وقوله تعالى: {لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ} مِنْ مَجَازِ الْكَلَامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَهُوَ أَمَامَكَ. فَقِيلَ لِكُلِّ مَا تَقْدِمُ عَلَى الشَّيْءِ: «هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ»)¹⁰⁴، وكذا أكد الخازن: فقال: (وقوله «بَيَّنَّ يَدَيْهِ» فِيهِ نَوْعٌ مَجَازٌ لِأَنَّ مَا بَيْنَ يَدِي الشَّيْءِ يَكُونُ أَمَامَهُ، فَوَصَفَ سَبْحَانَهُ مَا مَضَى مِنَ الْكُتُبِ بِأَنَّهَا بَيْنَ يَدِي الْقُرْآنِ لِشِدَّةِ ظَهْرِهَا وَاشْتِهَارِهَا)¹⁰⁵، وكذا لك السمعاني فقال: (وَإِنَّمَا قَالَ: {لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ}؛ لِأَنَّهُ فِي تَصْدِيقِ مَا قَبْلَهُ، وَأَظْهَرَ صِدْقَهُ، كَالشَّيْءِ الْحَاضِرِ بَيْنَ يَدَيْهِ)¹⁰⁶ وفعل نفس الشيء أبو الحسن المجاشعي (ت1086/479)¹⁰⁷ والرازي¹⁰⁸ والنيسابوري¹⁰⁹ وابن عادل¹¹⁰ والخطيب¹¹¹ وأطفيش¹¹² والصابوني¹¹³ والطنطاوي¹¹⁴ ومحمد أبو زهرة¹¹⁵ ...

وأقول أن الحقيقة مُقَدِّمة على المجاز؛ وأنَّ المعنى - إن كان المقصود: ما مضى من الكُتُبِ - أَنَّ الْقُرْآنَ يُصَدِّقُ الْكُتُبَ الْمَوْجُودَةَ فِي زَمَانِ نَزُولِهِ - وَالَّتِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ مَوْجُودَةٌ - وَتَشْهَدُ أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنَ اللَّهِ، وَهِيَ تَشْهَدُ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ. فَالْقُرْآنُ يَخَاطِبُ النَّاسَ وَخُصُوصًا أَهْلَ الْكِتَابِ: أَنَّ كُتُبَكُمْ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ تَشْهَدُ بِنبوة مُحَمَّدٍ (ص) وَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وللد الكامل على الإمام ابن عطية؛ فسيتناول الباحث أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: {قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَأْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدُمُونَ} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ¹¹⁶؛ وذلك لوضوح معنى الآية في المستقبل من سياقها.

1. {أَفْتَرَبْتِ السَّاعَةَ} القمر، 54/1 .

102 ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4/ص24

103 الواحدي، التفسير البسيط، ج5/ص17

104 الألوسي، روح المعاني، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1415 هـ ج11/ص319

105 الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكُتُب العلمية - بيروت، 1415 هـ ج1/ص224

106 السمعاني، تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض، 1997، ج1/ص291

107 أبو الحسن المجاشعي، النكت في القرآن، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1428 هـ، ص170

108 الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ ج7/ص131

109 النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج2/ص101

110 ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ج5/ص15

111 الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج1/ص194

112 أطفيش، التفسير، ج4/ص96

113 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، 1417 هـ ج1/ص168

114 محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن، دار نهضة، الفجالة، القاهرة، ج7/ص71

115 أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج7/ص3569

116 سبأ، 34/31

قال الماوردي (ت1058/450) 117: {وَلَا بِالَّذِي يُبَيِّنُ يَدَيْهِ} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: التوراة والإنجيل، قاله السُّدِّيُّ (ت745/128). الثاني: من الأنبياء والكُتُب قاله قتادة. الثالث: من أمر الآخرة، قاله ابن عيسى). وقال أَطْفَشُ: {وَلَا بِالَّذِي يُبَيِّنُ يَدَيْهِ}: ما تقدّمه من الكُتُب الدالّة على البعث؛ ويُروى أن كُفّار مَكّة سألوا أهل الكتاب، فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول لله (ص) في كتبهم؛ فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدّمه من كتب الله في الكفر، وقيل الذي يُبَيِّنُ يَدَيْهِ: التوراة والإنجيل، وقيل: القيامة؛ ويجوز أن يراد بالذي يُبَيِّنُ يَدَيْهِ: النَّبِيُّ (ص) فعليه تكون «الماء» و«الذي» له (ص)، والضمير المستتر في الصلة: للقرآن؛ أي: ولا بالذي ثَبَتَ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ يَدَيْهِ، ولم يظهر الضمير لَعَدَمِ اللَّبْسِ 118.

لكنَّ السياق كلّه في أمر الآخرة؛ مما يُؤكّد أنّ القول الصّحيح هو: الآخرة؛ ولذلك لم يذكر ابن كثير إلا هذا القول؛ فقال: (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَادِي كُفَّارِي فِي طُغْيَانِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَا أَخْبَرِيهِ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ 119؛ وكذا فعل الطبراني مرجحاً أنه الآخرة. وحاكياً القول الثاني بصيغة التضعيف؛ فقال: (أَيَّ قَالَ الْكُفَّارُ: لَنْ نُؤْمِنَ بِصِدْقِ هَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَالنَّشْأَةُ الثَّانِيَةَ. وَقِيلَ: مَعْنَى {وَلَا بِالَّذِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ} يَعْنُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) 120.

ومن العلماء الذين فسروا الآية بـ«الآخرة» غير من دُكر سابقاً: الكرمانى (ت1110/505) 121، والزمخشري (ت1143/538) 122، والعز (ت1262/660) 123، والقرطبي (ت1273/671) 124، والبيضاوي 125، والنسفي (ت1310/710) 126، والإيجي (ت1500/905) 127، وأبو حيان 128، والنيسابوري 129، والخطيب الشريبي 130، وأبو السعود (ت1574/982) 131، والمظهري (ت1801/1216) 132، وابن عجيبة 133، والشوكاني (ت1834/1250) 134، والقنوجي (ت1890/1307) 135، ودروزة (ت1984/1404م) 136 ...

وصرح الألوسي بأنَّ السياق لا يؤيد قول المفسرين: أنَّه التوراة والإنجيل، بل جعل مرادهم متعلقاً بالآخرة:

- 117 الماوردي، النكت والعيون، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ج4/ص451
- 118 أَطْفَشُ، هميان الزّاد، ج11/ص140
- 119 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ج6/ص459
- 120 الطبراني، تفسير القرآن العظيم، ص. 2894
- 121 الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج2/ص937
- 122 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3/ص584،
- 123 العزيز عبد السلام، التفسير، دار ابن حزم – بيروت، 1996م، ج3/ص15
- 124 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكُتُب المصرية، القاهرة، 1964م، ج14/ص302،
- 125 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4/ص248،
- 126 النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3/ص64،
- 127 الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج3/ص388
- 128 ابوحيان، البحر المحيط في التفسير، ج8/ص551
- 129 النيسابوري، غرائب القرآن، ج5/ص498
- 130 الخطيب الشريبي، السراج المنير، ج3/ص300
- 131 أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج7/ص134
- 132 المظهري، التفسير، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412هـ، ج8/ص31
- 133 ابن عجيبة، البحر المنير في تفسير القرآن المجيد، ج4/ص497
- 134 الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ، ج4/ص376
- 135 الفتوّجى، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، 1412هـ، ج11/ص196
- 136 دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكُتُب العربية – القاهرة، 1383هـ، ج4/ص285

فيقول: (وَلَا بِالْيَدِي بَيْنَ يَدَيْهِ: أي من الكُتُب القديمة؛ كما روي عن قتادة والسُّدِّي وابن جُرَيج (ت767/150)، ومرادهم: نفي الإيمان بجميع ما يدلُّ على البعث؛ من الكُتُب السماوية المتضمنة لذلك، ويُروى أنَّ كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول (ص) فأخبروهم أنهم يجدون صفته (ص) في كتبهم؛ فأغضبهم ذلك؛ فقالوا ما قالوا، وضُغِفَ؛ بأنَّه ليس في السياق والسِّباق ما يدل عليه، وقيل الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: القيامة).¹³⁷ وكذا فعل أَطَقَيْشٍ مُؤكداً على مسألة أن السياق غير مساعد؛ فقال: (وقيل: الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: ما قبله من كتب الله عز وجل، وأنَّ الهاء للقرآن... وفيه؛ أنَّه لم يتقدَّم له دليل)¹³⁸.

أما الرازي فإنه أراد أن يجمع بين السياق وبين قول المفسرين: أنَّه التوراة والإنجيل؛ فيقول: (لما بَيَّنَّ الأمور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر، وكانوا بالكلِّ كافرين، بَيَّنَّ كفرهم العام بقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ}، وذلك لأنَّ الْقُرْآنَ مشتملٌ على الكل. وقوله: {وَلَا بِالْيَدِي بَيْنَ يَدَيْهِ}؛ المشهور أنَّه التوراة والإنجيل، وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم: المشركون المنكرون للنبوات والحشر، ويُحتمل أن يقال: إنَّ المعنى هو أنَّ لا نؤمن بالقرآن أنَّه من الله، «وَلَا بِالْيَدِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أي ولا بما فيه من الإخبارات والمسائل والآيات والدلائل، وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم العموم، لأنَّ أهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن أنَّه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل الحشر، فإن قيل: أليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر، فنقول: إذا لم يُصَدِّقْ واحدٌ ما في الكتاب من الأمور المختصة به؛ يقال فيه: إنَّه لم يُؤْمِنْ بشيءٍ منه، وإنَّ آمن ببعض ما فيه؛ لِكُونِهِ في غيره فَيَكُونُ إيمانه لا بما فيه.)¹³⁹ وقاربه ابن عادل¹⁴⁰.

والذين فسَّروا الآية بالكُتُب السماوية أرادوا أنَّها مُتضمنةٌ على ما يدلُّ على البعث - كما سبق - وكما أشار أبو السعود¹⁴¹ والبروسوي¹⁴² وابن عجيبة¹⁴³ والجاوي¹⁴⁴ والصابوني¹⁴⁵.

وقد اعتمدوا في هذا التفسير على سبب التزول الذي ذكره؛ ولا أصل له؛ فلا يُعتمد عليه.

ومن تمام الرد الوافي على الإمام ابن عطية أن نوضح المقصود به، «بَيْنَ يَدَيْهِ» إن دل على الزمان الماضي؛ وأنه هو الماضي القريب المتصل الذي هو بين يديك؛ فإني سأنقل أقوال المفسرين في قوله تعالى: {إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}:

قال الرازي: (قَوْلُهُ: بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ إِشَارَةٌ إِلَى قُرْبِ الْعَذَابِ كَأَنَّهُ قَالَ يُنذِرُكُمْ بِعَذَابٍ حَاضِرٍ يَمَسُّكُمْ عَنْ قَرِيبٍ بَيْنَ يَدَيْ الْعَذَابِ أَي سَوْفَ يَأْتِي الْعَذَابُ بَعْدَهُ)¹⁴⁶. وقال أبو حيان: (بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ: أَي هُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي الزَّمَانِ عَلَى الْعَذَابِ الَّذِي تُوعَدُوا بِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْ يُشْعِرُ بِقُرْبِ الْعَذَابِ)¹⁴⁷. وقال ابن عادل: (وقوله: {بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} إشارة إلى قرب العذاب كأنه قال ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب)¹⁴⁸.

137 الاوسى، روح المعاني، ج11/ص319

138 أَطَقَيْشٍ، التفسير، ج8/ص258

139 الرازي، مفاتيح الغيب، ج25/ص207

140 ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج16/ص67

141 أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7/ص134

142 البروسوي، روح البيان، ج7/ص297،

143 ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج4/ص497

144 الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، دار الكُتُب العلمية - بيروت، 1417 هـ/ج2/ص271

145 الصابوني، صفوة التفاسير، ج2/ص509

146 الرازي، مفاتيح الغيب، ج25/ص215

147 ابوحيان، البحر المحيط في التفسير، ج8/ص562

148 ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج16/ص85

وقال النَّيْسَابُورِيُّ: (وفيه إشارة إلى عذاب قريب كأنه قال: ينذركم بعذاب يمسمكم قبل الشديد)¹⁴⁹. وقال الجاوي: (أي: ما مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولٌ مُخَوِّفٌ لَكُمْ بِعَذَابٍ حَاضِرٍ يَمَسُّكُمْ عَنْ قَرِيبٍ قَبْلَ عَذَابٍ شَدِيدٍ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ)¹⁵⁰. وقال أَطَقَيْشُ: (والمعنى أن العذاب متصل به خَلْفَهُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ)¹⁵¹

فالخلاصة أَنَّ الْمَعْنَى الْوَاضِحَ فِيهَا هُوَ: «القرب والدنو»؛ وقد تقدم فيما بعض الكلام في المقدمة، وهذه الآية¹⁵² هي كقولهِ تعالى: {أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}¹⁵³، وقوله: {وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ}¹⁵⁴، وقوله: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ}¹⁵⁵، وقوله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ}¹⁵⁶، {أَتَى أَمْرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}¹⁵⁷، وفي حديث أنس وسهل بن سعد قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ: بِإِصْبَعِيهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالْيَ تَلِي الْإِنْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»¹⁵⁸

وأوضح من الآية السابقة في دلالة القرب والملازمة؛ قوله عز وجل: {يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}، وقوله تعالى: {أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}؛ أي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بِشَارَةً بِالْمَطَرِ قَدَامَ وَقَبِيلِ نَزُولِ الْغَيْثِ بوقت قليل¹⁵⁹؛ يقول الرازي: {قَوْلُهُ: بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَي بَيْنَ يَدَيْ الْمَطَرِ الَّذِي هُوَ رَحْمَتُهُ وَالسَّبَبُ فِي حُسْنِ هَذَا الْمَجَازِ أَنَّ الْيَدَيْنِ يَسْتَعْمَلُهُمَا الْعَرَبُ فِي مَعْنَى التَّقْدِيمَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ يُقَالُ: إِنْ الْفَتَى تَحَدَّثَ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ يَرِيدُونَ قُبَيْلَهَا}¹⁶⁰

وبعد هذه التحقيق ننتقل إلى المبحث التالي وهو:

المبحث الثالث: النظر في تفسير بعض الآيات من خلال ما تقرَّر

الآية الأولى التي سنتناولها؛ قوله تعالى في سياق مدح القرآن الكريم وعصمته وكمالهِ: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

واخترت هذه الآية في البداية؛ لأن العلماء ذكروا في تفسيرها قولاً مهماً ورائعاً كما سيأتي؛ وفي تفسيرها أوجه:

أحدها: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ الزائغ الزائل في خلال أوامره وأحكامه لا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بان يتصف حكمه وأحكامه حين نزوله وظهوره بعدم المطابقة لما في الواقع وبما في علم الله ولو حُضِرَ قضاؤه، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ بان يلحقه نسخ وتبديل كالكُتُبِ السالفة إذ هو تَنْزِيلٌ مَنْزِلٌ مِنْ حَكِيمٍ كَامِلٍ فِي الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ عَلِيمٍ بِأَسَالِبِ الْحُكْمِ وَالْأَحْكَامِ¹⁶¹.

149 النَّيْسَابُورِيُّ، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، ج5/ص501

150 الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ج2/ص273

151 هميان الزاد، ج11/ص152

152 انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7/ص434

153 النجم، 53/57، 58

154 غافر، 40/18

155 الأنبياء، 21/1

156 القمر، 54/1

157 النحل، 16/1

158 رواه البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}، ج6/ص166

159 ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1/ص291؛ ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج2/ص226

160 الرازي، مفاتيح الغيب، ج14/ص289

161 النخواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، داركبابي للنشر، الغورية، مصر، 1419 هـ، ج2/ص280

وينفس المعنى السابق لكن بالعكس حيث جعلوا «مَنْ يَبْنِ يَدَيْهِ» للماضي و«مَنْ خَلَفَهُ» للحال؛ قال الطريحي (ت1085/1674): ليس فيه ما لا يطابق الواقع لا في الماضي ولا في الحال¹⁶²، وقال البقاعي (ت885/1480): (مَنْ يَبْنِ يَدَيْهِ) من جهة الظاهر مثل ما أمر وأخبر به عما كان قبله (ولا من خَلَفَهُ) من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يُشْهَر من الكائن «الحاضر» والآتي «المستقبل» سواء كان حكماً أو خبراً لأنه في غاية الحَقِّية والصدق¹⁶³

الثاني: قول الرازي: (لا يوجد في «المستقبل» كتاب يُمكن جعله معارضا له ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضا له)¹⁶⁴، وقول الماتريدي: (لا ينزل كتاب من بعده يكذبه أو يُبطله، ولا قبله كتاب يكذبه أو يُبطله)¹⁶⁵. وَيَنْفَسُ الْمَعْنَى ولكن بالعكس أيضاً؛ قول المفسرين: (لا يأتيه الباطل من كتاب قبله كالتوراة والإنجيل والزيور... ولا يأتيه من كتاب بعده، قاله فتادة والضحاك وسعيد بن جبیر)¹⁶⁶. ومثله قول ابن جزى الكلبي (ت1340/741): (ليس فيما تقدمه ما يُبطله، ولا يأتي بعده ما يُبطله)¹⁶⁷، وقريب منه قول الثعالبي (ت1470/875): (ليس فيما تقدم من الكُتُب ما يُبطل شيئاً منه. وليس يأتي بعده من نَظَرَ ناظر وفِكْرَ عاقل ما يُبطل شيئاً منه، والمراد باللفظة على الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات)¹⁶⁸

وهنا المقصود مطلق الكُتُب والعلوم؛ السماوية وغير السماوية كالكُتُب العلمية والإنسانية..

الثالث: (لا يُبطله شيءٌ مما وُجِد قبله أو معه «الحاضر»، ولا يوجد بعده «المستقبل»)¹⁶⁹؛ وهذا الرأي البديع يجمع بين سابقَيْهِ، فلا يُمكن أن يوجد رأيٌ صَحِيح أو كتابٌ دقيقٌ أو حقيقةٌ أو أيُّ شيءٍ صَحِيحٌ يُخالف كتابَ الله أبداً قطعاً.

الرابع: (لا يُبطل منه شيئاً مَنْ نَظَرَهُ اليومَ ولا مَنْ نَظَرَهُ بعدُ فإنه ولو طعن فيه الطاعنون وتأولَه المُبطلون؛ لكنَّ ظهر بطلان قولهم ظهورَ الشمسِ)¹⁷⁰ فلا يَسْتَطِيع أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الطَّبِيعِيِّينَ وَلَا الْإِنْسَانِيِّينَ وَلَا كُلَّ الْمُفَكِّرِينَ وَالنَّاظِرِينَ أَنْ يَأْتُوا بِحَقِيقَةٍ هِيَ خِلافَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْبِتَّةِ.

الخامس: ما حكم القرآن بكونه حقاً لا يصبر باطلا، وما حكم بكونه باطلا لا يصبر حقاً¹⁷¹ فهو يطابق الحق والعدل.

السادس: ما يَبْنِ يَدَيْهِ لفظه، وما خَلَفَهُ تأويله، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا تأويل¹⁷²

السابع: معناه أنه محفوظ من أن يَنْقُصَ مِنْهُ فَيَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ يَبْنِ يَدَيْهِ، أو يُزَادَ فِيهِ فَيَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ خَلَفَهُ والدليل عليه قوله: (وَأَنَا لَهُ لِحَافِظُونَ)¹⁷³ فعلى هذا: فالباطل هو الزيادة والنقصان، قاله الرُّجَّاجُ¹⁷⁴

162 الطريحي، مجمع البحرين ومطلع النيرين، مكتبة المرتضوي، طهران، 1365 هـ ج1/ص19

163 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج17/ص201

164 الرازي، مفاتيح الغيب، ج27/ص568

165 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج9/ص87

166 النحاس، إعراب القرآن، ج4/ص45، الطبراني، تفسير القرآن العظيم، ص3269، الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص185

167 ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج2/ص242

168 الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ ج5/ص143

169 الثِّيَسَائُورِيُّ، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج2/ص731

170 اطفيش، هميان الراد، ج12/ص222

171 الرازي، مفاتيح الغيب، ج27/ص568

172 الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص185

173 الحجر، 9/14

174 الرُّجَّاجُ، معاني القرآن وإعراجه، ج4/ص388، الرازي، مفاتيح الغيب، ج27/ص568، الطبراني، تفسير القرآن العظيم، ص3269

الثامن: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل، ولا من آخره. وقيل عكس هذا.¹⁷⁵

التاسع: لا يأتيه الباطل في إخباره عمّا تقدّم، ولا في إخباره عمّا تأخر، قاله ابن جريج.¹⁷⁶

العاشر: لا يأتيه أهل الباطل والخذلان من بين يديه بالإيمان به، ولا من خلفه بالعمل؛ وهذا من عزّة الكتاب¹⁷⁷

الحادي عشر: هذا تمثيل وكناية، والمقصود أن الباطل والتحريف والتناقض لا يتطرق إليه أبداً بأي طريق كان؛ لأنّ فُدام: أوضح ما يكون، وخُلف: أخفى ما يكون، فما بين ذلك من باب أولي¹⁷⁸ وإذا كان كذلك فلا يقدر أحد أن يأتي بمثله كما قال القشيري¹⁷⁹: قال عزوجل: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}¹⁸⁰ وممّا سبق من الأقوال نخلص إلى ما يلي:

(1) أن الأقوال غير متضاربة بل بعضها يكمل بعضها: والأخذ بالعموم أولى؛ فأنتى للباطل أن يجرد إلى القرآن سبيلاً وطريقاً من أي جهة كانت، حتى يصل إليه؛ والمعنى أن كل ما فيه من الأحكام كمالاً وعدلاً، وكل ما فيه من الأخبار حقٌ وصدقٌ، ليس فيه ما لا يطابق الحقيقة والواقع¹⁸¹، كما قال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}¹⁸²، وقال: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً}¹⁸³. لكن الأقوال الخمسة الأولى – وهي متقاربة – أولى من غيرها واقرب.

(2) التفاسير الخمسة الأولى ذكرت معنى رائع ومهم جداً ينبغي التركيز عليه؛ وهي أنّ معنى «يُنَّ يَدِيهِ» هو الواقع الذي بين يدي القرآن، وان معنى {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ}؛ مطابقة الواقع والحقائق؛ فلا يُمكن أن يتصور أحد أن يخالف القرآن نظراً لظهوره ولا يفكر عاقل، ولا يتخيل كتاب يُمكن جعله معارضاً له سواء كان إليها أم أرضياً.

وهذا المعنى يُمكن أن ينطبق على كلّ الآيات الكريمة التي وصفت القرآن بأنه: {مُصَدِّقٌ أَوْ تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} كما في الآيات: (البقرة 97، آل عمران 3، الأنعام 92، يونس 37، يوسف 111، فاطر 31، الأحقاف 30)؛ ولم تقيد بالكتاب؛ كما في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ}، فالقرآن يُصدق الواقع الذي بين يديه من المُسلمات والثوابت بكل تفاصيله كما سيتبين لنا.

وفي قوله تعالى: {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} في وصف عيسى عليه السلام والإنجيل دلالة على قولنا وترجيحنا؛ فلو كان قول المفسرين: أنّ «ما بين اليد» هو التوراة والإنجيل فقط دقيقاً، فأني حاجة هنا إلى قوله تعالى: {مِنَ التَّوْرَةِ}، فيصير تكراراً.

وأيضاً في تقييد تصديق الإنجيل بالتوراة، وإطلاقه للقران؛ دليل آخر أنّ القرآن مصدق للواقع الذي بين

175 الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص185، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج9/ص311

176 الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص185

177 البروسوي، روح البيان، ج8/ص270

178 الرمخشري، الكشاف، ج4/ص202، الرازي، مفتاح الغيب، ج27/ص568، ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/ص19، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5/ص73؛ ابن كثير، التفسير، ج7/ص167، ابن حبان، البحر المحيط، ج9/ص311، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24/ص309، الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج3/ص521؛ ابن عجيبة، البحر المديد، ج5/ص183؛ النسفي، مدارك التنزيل، ج3/ص239، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج8/ص16، البقاعي، نظم الدرر، ج17/ص201

179 الفشيري، لطائف الإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3/ص335

180 النساء، 4/82

181 الفنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج12/ص259

182 الأنعام، 6/115

183 الأعراف، 7/52

يديه - بحقائقه - .

وقد يسأل سائل: لماذا جاء القرآن بهذا التعبير «بَيْنَ يَدَيْهِ» بدل كلمة «الواقع» مثلا؛ فيُجيب على هذا الإمام أبو زهرة حيث يقول: («بَيْنَ يَدَيْهِ» تعبير قرآني... دلالته على الأمر المهيأ القائم من الاستعارات الرائعة، ومضمونها أن الأمر معلوم علما يقينا... كعلم المحسوس يكون موضوعا بَيْنَ يَدَيْهِ¹⁸⁴، وأيضاً فإن دلالة «بين اليد» أوسع من دلالة «الواقع» بكثير؛ حيث تدل على ما وقع وما يقع وما سيقع. ولناخذ مثالا من الآيات السابقة؛ كي يتضح المعنى والانطباق:

الآية الثانية: قوله تعالى: {مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقريبا منها؛ قوله تعالى: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

قبل أن نبدأ بذكر أقوال المفسرين؛ فإن من المناسب ذكر معنى «تَصْدِيق» و «مُصَدِّق»؛ يقول الشريف الجرجاني (ت 816 / 1413): (الصدق: في اللغة: مُطابَقة الحكم للواقع)¹⁸⁵، و(التصديق: هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر)¹⁸⁶، ويقول الألوسي: (وعنى بالتصديق بيان الصدق وهو مطابقة الواقع وإظهاره)¹⁸⁷ ويقول الشعراوي: (ومعنى «مُصَدِّق» أي أن يطابق الخبر الواقع... إذن فالواقع هو الذي يحكم)¹⁸⁸ وللعلماء في قوله عز وجل: {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}؛ عدة أقوال نجملها في ما يلي:

أولا: القرآن شاهد بصدق ما تقدم من الكتب: التوراة والإنجيل والزبور. قاله ابن عباس¹⁸⁹، وهذا من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، (فإن قلت: كيف يكون مُصَدِّقًا لما تقدمه من الكتب مع أنه ناسخ لأحكامها أكثرها؟ قلنا: إذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على أن أحكامها ثبتت إلى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن، كانت موافقة للقرآن، وكان القرآن مُصَدِّقًا لها. فأما عدا الأحكام فلا شبهة في أن القرآن مُصَدِّق لها لأن المباحث الإلهية والقصص والمواعظ لا تختلف)¹⁹⁰. ولتوجيه هذه القول آراء منها:

1) أن نصوص القرآن تشهد أن الله أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود عليهم السلام.¹⁹¹

2) أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا (ص) كَانَ رَجُلًا أَمِينًا مَا سَافَرَ إِلَى بَلَدٍ لِأَجْلِ التَّعَلُّمِ، وَمَا كَانَتْ مَكَّةَ بَلَدَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى هَذَا الْقُرْآنَ، فَكَانَ هَذَا الْقُرْآنَ مُشْتَمَلًا عَلَى أَقْصَيْصِ الْأَوَّلِينَ، وَالْقَوْمِ كَانُوا فِي غَايَةِ الْعِدَاوَةِ لَهُ، فَلَوْلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَقْصَيْصُ مُوَافِقَةً لِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لَقَدَحُوا فِيهِ وَلَبَّأَعُوا فِي الطَّعْنِ فِيهِ، وَلَقَالُوا لَهُ إِنَّكَ جِئْتَ بِهَذِهِ الْأَقْصَيْصِ لَا كَمَا يَنْبَغِي، فَلَمَّا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الطَّعْنِ فِيهِ، وَعَلَى تَفْصِيحِ صُورَتِهِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ أَتَى بِتِلْكَ الْأَقْصَيْصِ مُطَابِقَةً لِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، مَعَ أَنَّهُ مَا طَالَعَهُمَا وَلَا تَلَمَّذَ لِأَحَدٍ فِيهِمَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِوَحْيٍ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى..¹⁹²

184 زهرة التفاسير، ج4/ص2217

185 الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1403 هـ، ص59

186 المصدر السابق، ص132

187 الألوسي، روح المعاني، ج6/ص110

188 الشعراوي، التفسير، ج2/ص1266

189 الماوردي، النكت والعيون، ج2/ص435؛ زاد المسير، ج2/ص331؛ السمعاني، التفسير، ج2/ص383

190 التَّيْبَسَاتِي، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج2/ص101

191 أبو الحسن المجاشعي، النكت في القرآن الكريم، ص170

192 الرازي، مفتاح الغيب، ج17/ص252؛ الخازن، لبياب التأويل في معاني التنزيل، ج2/ص443؛ الألوسي، روح المعاني، ج6/ص110

(3) أَيُّ مُبَيَّنًا لِلصَّادِقِ مِنْهَا وَمُمِيزًا لَهُ عَمَّا زِيدَ فِيهَا وَأَسِيءَ مِنْ تَأْوِيلِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ.¹⁹³

ثانياً: يصدقه الَّذِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ؛¹⁹⁴، وهذا من باب إضافة المصدر إلى فاعله. وذلك من وجوه:

- 1) اما أن كتب الله المنزلة دلت على مقدم النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) وبشرت بمجيئه.¹⁹⁵
- 2) أَوْ هُوَ مُصَدِّقٌ بِشَهَادَةِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ فِيمَا أَخَذَتْ مِنَ الْعَهْدِ عَلَى أَصْحَابِهَا أَنْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ الَّذِي يَجِيءُ مُصَدِّقًا وَخَاتَمًا. فَالْوَصْفُ بِالمصدرِ صَالِحٌ لِلأَمْرَيْنِ لِأَنَّ المَصْدَرَ يَقْتَضِي فَاعِلًا وَمَفْعُولًا.¹⁹⁶
- ثالثاً: تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيَّنَّ يَدَيْهِ مِنَ البعث والجزاء وأُشْرَاطِ السَّاعَةِ، لِأَنَّ القُرْآنَ يَخْبِرُ بالبِعثِ، ويدعو إلى الاستعداد له.¹⁹⁷

رابعاً: أنه (ص) أخبر في القُرْآنِ عن الغيوب الكثيرة في المستقبل، ووقعت مطابقة لذلك الخبر، كقوله تعالى: {عَلَيْتِ الرُّومُ}،¹⁹⁸ وكقوله تعالى: {لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}،¹⁹⁹ وكقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ}...²⁰⁰...²⁰¹ قال الشعراوي: (وبعد ذلك جاء القُرْآنُ الكريم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أي: أنه الكتاب الذي يضم صدق كلِّ حدث قادم؛ لِأَنَّ القُرْآنَ خَرَقَ حُجُبَ وَحُجُرَ المَاضِي وَالمَستقبِلِ)²⁰²

خامساً: تصديق النَّبِيِّ (ص) الذي هو بين يدي القُرْآنِ، لأنهم شاهدوه وعرفوه قبل سماعهم القُرْآنِ، ذكره ابن الأنباري²⁰³

والراجع والله أعلم إن الآية عامة في الأقوال السابقة وفي معني هو أوسع منها جميعاً: فإن كل ما في «الواقع» الذي بين يدي القُرْآنِ في كل زمان يشهد له بالصدق والحقيّة:

(1) سواء بتحقيق أخباره: (الإعجاز الغيبي والتاريخي)، أو بما يكون في الواقع من اختراعات وابتكارات قد أشار إليها القُرْآنُ: (الإعجاز العلمي)، وسواء بإدراك البشرية يوماً بعد يوم أن شقائها بسبب بعدها عن تشريعات القُرْآنِ وقوانينه ومبادئه: التي جعلت العالم الغربي يتجه إلى الفناء والنهاية خلال عقود قليلة مقبلة²⁰⁴:

193 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11/ص169: الألوسي، روح المعاني، ج6/ص110

194 الماوردي، النكت والعيون، ج2/ص435 الرازي، مفاتيح الغيب، ج17/ص252

195 المصدر السابق

196 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11/ص169

197 الرِّجَاحُ، معاني القرآن وإعرابه، ج3/ص20: الماوردي، النكت والعيون، ج2/ص435: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي - بيروت، 1422 هـ، ج2/ص331: السمعاني، التفسير، ج2/ص383: الواحدي، التفسير البسيط، ج11/ص199

198 الروم، 30/2، 1

199 الفتح، 48/27

200 النور، 24/55

201 الرازي، مفاتيح الغيب، ج17/ص252: الخازن، لباي التأويل، ج2/ص443: الألوسي، روح المعاني، ج6/ص110: أَطْفَيْشُ، التفسير، ج4/ص96: الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ، ج11/ص177

202 الشعراوي، التفسير، ج10/ص5933

203 ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج2/ص331

204 انظر كتاب «موت الغرب» لباتريك، جيه. بوكانن كان مستشاراً كبيراً لثلاثة رؤساء أمريكيين، وخاض سباق تسمية المرشح لمنصب الرئيس عن الجمهوريين نهاية الغرب» للباحث الفرنسي في «كتاب ومرتين في العام 1992 وفي العام 1996، ثم كان مرشحاً لانتخابات الرئاسة عن حزب الإصلاح في العام 2000 الشؤون الإستراتيجية فرانسوا هازيبور مدير مؤسسة البحث الإستراتيجي

(الإعجاز التشريعي)، وسواء بدقة حساباته: (الإعجاز العددي)... وسواء بدقة ألفاظه وجملة ومعانيه وأصواته التي فاقت قدرة القارئ والمتدبرين: (الإعجاز البياني) والتي زادت الدراسات اللغوية والصوتية الحديثة وضوحاً وبريقاً. يقول المنتصر الكتاني (ت1998/1419): (كل ما نصّ عليه القرآن من علوم فلكية وجغرافية وتاريخية وبشرية وإنسانية أكده العلم الواقع، فلم يوجد فيه شيء مخالِف للحقائق)²⁰⁵

(2) والكُتُب الإلهية التي كانت موجودة في زمن نزول الوحي، وكذا الواقعة «بين أيدينا» الآن، رغم ما أصابها من التحريف الشديد المتكرر والمستمر إلا أنها تشهد للقرآن بالصدق وللنبي بالرسالة²⁰⁶.

وكذا الكُتُب الإنسانية أو العلمية... كلها تشهد بحقائقها وثوابتها بأن القرآن حق من عند الله .

(3) وإذا كان كل شيء يشهد بصدق القرآن؛ فهو يشهد برسالة سيدنا مُحَمَّد (ص)، إذ هو معجزته وبرهانه .

(4) وإذا كان كل ما في القرآن صدق وحق فان التوراة والإنجيل والزبور حق، والساعة وعلاماتها حق؛ لأن القرآن يشهد بكونها من عند الله؛ إلا أن أهل الكتاب حرّفوها وغيروها.

فالله سُبحانه أودع شهادته بصدق النبي (ص) في القرآن؛ وهذا كقول الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ سَأَرْبِحُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ²⁰⁷، وقوله: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُطَلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ²⁰⁸، وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ. وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ²⁰⁹، وهذا الأمر طبيعي لأنه لما كانت رسالة النبي عامة فيجب أن تكون مُعجزته عامة.

فانظر إلى هذا المعنى الواضح الجلي الذي بانكشافه انجَلَّت المعاني الكثيرة الواسعة العظيمة للنص الكريم.

الثالث: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا يَدَيْنَا يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

هذا التَّرْكِيْبُ تَمْتِيلٌ بِتَشْبِيهِهِ خَالَ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلاً دُونَ إِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ص) بِحَالٍ مَنْ يَتَقَدَّمُ مُمَاشِيَةً فِي مَشْيِهِ وَيَتْرَكُهُ خَلْفَهُ. وَوَجْهُ الشَّبْهِ الْإِنْفِرَادُ عَنْهُ فِي الطَّرِيقِ. وَالنَّهْيُ هُنَا لِتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْبِقُوا النَّبِيَّ (ص) بِأَمْرٍ مَا قَوْلًا أَوْ عَمَلًا أَوْ أَنْ يُبْدُوا رَأْيًا فِي أَمْرٍ قَبْلَهُ أَنْتَظَارًا لِمَا يَكُونُ مِنْهُ (ص) مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَرَأْيٍ وَالْوَقُوفُ عِنْدَهُ. ²¹⁰

وأقوال المفسرين كلها فروع وأمثال لهذا: مثل قول الماوردي: (فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. الثاني: أنهم نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه، قاله ابن عباس. الثالث: معناه ألا يقتاتوا على الله ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله، قاله مجاهد. الرابع: أنها نزلت في قوم ضحوا قبل أن يصلوا مع الرسول (ص)، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، قاله الحسن. الخامس: لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر به الله تعالى ورسوله) ²¹¹

205 المنتصر الكتاني، التفسير ج2/297، ص2، بتقييم الشاملة ألبا

206 انظر مثلاً، د. نصرالله أبوطالب، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد(ص)؛ بشارات العهد القديم والعهد الجديد بمحمد(ص)، د. محمد بن عبدالله السحيم؛ هل بشر الكتاب المقدس بمحمد (ص)، منقذ بن محمود السقار وكذا مناظرات احمد ديدات رحمه الله

207 فصلت، 41/ 52، 53

208 العنكبوت، 29/ 50 – 52

209 البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ج6/ص 182

210 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26/ص 216؛ دروزة، التفسير الحديث، ج8/ص 497

211 الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص 325

الرابع: قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فِإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }

{بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ} مَعْنَاهُ: قَبْلَ نَجْوَاكُمْ بِقَلِيلٍ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ جَرَتْ مَجْرَى الْمَثَلِ لِلْقُرْبِ مِنَ الشَّيْءِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ. شَبَّهَتْ هَيْئَةَ قُرْبِ الشَّيْءِ مِنْ آخِرِ هَيْئَتِهِ وَوُصُولِ الشَّخْصِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَرُدُّهُ عَلَيْهِ تَشْبِيهًا مَعْقُولًا بِمَحْسُوسٍ.²¹²

كان الأغنياء يَسْتَخْلُونَ بالنبي (ص) فَيُشَاوِرُونَهُ بما يريدون ويُلْحُونَ عليه بالحاجات والمسائل، وبشغلون بذلك أوقاته التي كانت مستغرقة بالعبادة والإبلاغ إلى الأمة، وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي (ص) كتمكّن الأغنياء منه. فأمر الله الناس بتقديم الصدقة على نجواهم مع النبي (ص) إعظاماً له وتوقيراً لمقام مناجاته، ونعماً للفقراء بتلك الصدقة، وبين أن ذلك خيرٌ لهم من الكف عن الصدقة وأصلحٌ لقلوبهم وقلوب الفقراء، ورخص من لم يجد ما يتصدق به أن يكلم النبي (ص) بما شاء من غير صدقة، ولكن الأمر شق على المسلمين. وكان الأمر قد أدى غايته، وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها. فخفف الله عنهم ونسخ ذلك الحكم برفع هذا التكليف وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب²¹³

الخامس: قوله تعالى: {وَلَا يَأْتِينَ بَهْنَتَانِ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ}

هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْجَامِعِ لِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ بِاخْتِلَافِ مَحَالِمِهِ مِنْ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَكِنَايَةٍ. فَالْبَهْنَتَانِ حَقِيقَتُهُ: الْإِخْبَارُ بِالْكَذِبِ وَهُوَ مُصَدَّرٌ.

وَحَقِيقَتُهُ بَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ: أَنْ يَكُونَ الْكَذِبُ حَاصِلًا فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ فَإِنْ كَانَ الْبَهْنَتَانِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ الْخَبَرُ الْكَاذِبُ كَانَ افْتِرَاؤُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ أَنَّهُ كَذَبَ مُوَاجَهَةً فِي وَجْهِ الْمَكْذُوبِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهَا: يَا فَلَانَةَ زَنَيْتِ مَعَ فَلَانَ، أَوْ سَرَقْتِ حَلِيَّ فُلَانَةٍ لِتَمَهِّتَهَا فِي مَالٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ أَنْتِ بِنْتُ زَنَا، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ الْبَهْنَتَانِ بِمَعْنَى الْمَكْذُوبِ كَانَ مَعْنَى افْتِرَائِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ كِنَايَةً عَنِ ادِّعَاءِ الْحَمْلِ بِأَنْ تَشْرِبَ مَا يَنْفُخُ بَطْنَهَا فَتُوهِمَ زَوْجَهَا أَنَّهَا حَامِلٌ ثُمَّ تُظْهِرَ الطَّلُقَ وَتَأْتِي بِوَلَدٍ تَلْتَقِطُهُ وَتَنْسِبُهُ إِلَى زَوْجِهَا لِئَلَّا يُطْلَقَ بِهَا، أَوْ لِئَلَّا يَرْتُدَّ عَصَبَتُهُ، فَبِئِ نَعْظَمُ بَطْنَهَا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ إِذَا وَصَلَ إِبَانٌ إِظْهَارَ الطَّلُقِ وَضَعَتِ الطِّفْلَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا وَتَحَدَّثَتْ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَهُوَ مَهْمُوتٌ عَلَيْهِ. فَالْإِفْتِرَاءُ هُوَ ادِّعَاؤُهَا ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الْبَهْنَتَانِ.

وَإِنْ كَانَ الْبَهْنَتَانِ مُسْتَعَارًا لِلْبَاطِلِ السَّيِّئِ بِالْخَبَرِ الْبَهْنَتَانِ، كَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ مُحْتَمَلًا لِلْكِنَايَةِ عَنِ تَمَكِينِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجِهَا يَقْبَلُهَا أَوْ يَحْبِسُهَا، فَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَوْ يَرْزِي بِهَا، وَذَلِكَ بَيْنَ أَرْجُلَيْهَا.²¹⁴

السادس: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ}

هذه الآية الكريمة تصفُ حال المؤمنين يوم القيامة حيث نورهم يسعى أمامهم، وكتابهم بأيامهم فيه البشري. وهم يسألون ربهم أن يبقِي لهم نورهم، فلا يُطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين تُنطفئ أنوار المنافقون والمنافقات ويقولون للذين آمنوا (انظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ نُورِكُمْ)²¹⁵

212 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28/ص44

213 الطبراني، تفسير القرآن العظيم (ص:0): السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1412 هـ، ج6/ص3512

214 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28/ص166: وانظر مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، الشارقة، 2008م، ج11/ص7431: السمعاني، التفسير، ج5/ص421

215 الطبري، جامع البيان، ج23/ص495

السابع: قوله تعالى: { وَمِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رِيٍّ وَمَنْ بَرَعَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ }

في هذه الآية دلالة «بَيْنَ يَدَيْهِ» على الحضور الدائم والسمع والطاعة²¹⁶.

الثامن: الآيات التي فيها مقابلة «بَيْنَ يَدَيْهِ» بـ«الْخَلْفَ» وهي 16 آية نتناولها كالآتي:

(1): قوله تعالى: { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }

وفيهما أقوال: «بَيْنَ يَدَيْهَا»: ما حضرتهما من القرى والأمم الموجودة، والمراد أهلها والذين في زمانها من الناس، { وَمَا خَلْفَهَا }: أي أهل القرى والأمم الغائبة من الناس إلى يوم القيامة. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ: أو بالعكس.

أَوْ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ ذُنُوبِ الْقَوْمِ، وَمَا خَلْفَهَا لِمَنْ يُذْنِبُ بَعْدَهَا مِثْلَ تِلْكَ الذُّنُوبِ.

أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ، وَمَا خَلْفَهَا فِي ذُنُوبِهِمْ، فَيُذَكَّرُونَ بِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ²¹⁷

(2): قوله تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } : { وَمَا نَتَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ } : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ }

فالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } هو ما يعلمونه من شئون سابقة أو حاضرة أو مستقبلية وعبر عن هذا بما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ؛ لأنه حاضر موجود يستطيعون أن يعرفوه؛ وأما «مَا خَلْفَهُمْ» فهو ما يكون علمه مغيبا عنهم، وعبر عن ذلك النوع من العلم بأنه { خَلْفَهُمْ } لأنه يَخْلَفُهُمْ فِي زَمَانِهِ. وهو تعبير عن العلم الشامل الكامل المحيط المستقصي لكل ما حولهم.²¹⁸

وأقوال المفسرين تدور كلها حول هذا المعنى بحسب السياق؛ وإنما تمثل على كُلِّ نوع بما يسمى التفسير بالمثل:

كقولهم: { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: الدُّنْيَا، وَمَا خَلْفَهُمْ: الْآخِرَةُ }²¹⁹؛ أو { وَمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مُسْتَعَارًا لِمَا يُظْهِرُونَهُ } (فيعلمه الناس)، { وَمَا خَلْفَهُمْ هُوَ مَا يُخْفُونَهُ } (فيغيب عن الناس) لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُظْهِرُهُ صَاحِبُهُ يَجْعَلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالشَّيْءَ الَّذِي يُخْفِيهِ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ²²⁰؛ أو { أَوَّلُ أَعْمَالِهِمْ وَأَخْرَجَهَا }²²¹؛ أو { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَرِيدُ: مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَا خَلْفَهُمْ يَرِيدُ: مَا فِي السَّمَوَاتِ }²²²؛ أو { يَعْلَمُ حَالَهُمْ وَمَالَهُمْ، وَظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ، وَيَوْمَهُمْ وَغَدَهُمْ }²²³

(3): قوله تعالى: { ثُمَّ لَا تِيْلَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ }

هذا قَسَمٌ مُعْلَظٌ مِنْ إِبْلِيسَ الْعَلِينِ أَنَّهُ سَيَأْتِي الْبَشَرَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِأَعْوَانِهِ وَوَسَاوِسِهِ وَوَسَائِلِهِ: «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» ويحيط بهم إحاطة الدائرة بقطرها للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة وإيقاعهم في الكفر والمعصية.. وهو مشهدٌ حَيٌّ شَاخِصٌ متحركٌ لإطباق إبليس على البشر في

216 المصدر السابق، ج/20/ص 364

الرُّجَّاجُ، معاني القرآن وإعراجه، ج/1/ص 149: التفسير البسيط، ج/2/ص 641: الرمخشي، الكشاف، ج/1/ص 148: ابن كثير، تفسير القرآن، ج/1 / ص 188: ابوحيان، البحر المحيط، ج/1/ص 398

218 الطبري، جامع البيان، ج/5/ص 396: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج/1/ص 289: ابوزهرة، زهرة التفاسير، ج/2/ص 938

219 الطبري، جامع البيان، ج/5/ص 396

220 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/17/ص 344

221 ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ج/1/ص 251

222 التفسير البسيط، ج/4/ص 350

223 القشيري، لطائف الإشارات، ج/2/ص 563

محاولته الدائبة لإغوائهم.²²⁴

وأقوال أهل التأويل تدور حول هذا المعنى؛ وتختلف في التمثل لهذا فقط؛ ومن ذلك:

قولهم: {لَا تَبْتَئُهُمْ مِّنْ بَيِّنٍ أُيْدِيَهُمْ}، من قبل الآخرة، فَأَرْزَنَ لَهُم التَّكْذِيبَ بِالْبَيْعِ وَالْجِنَّةِ وَالنَّارِ، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ}، يعني من قبل الدُّنْيَا، فَأَرْزَنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَأَرْغَبَهُمْ فِيهَا، وَلَا يَعْطُونَ فِيهَا حَقًّا، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}، يعني من قبل دينهم، فإن كانوا على هدىً شَبَّهْتَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَشْكُوكُوا فِيهَا، وَإِنْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ زَيَّنْتَهُا لَهُمْ، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}، يعني من قبل الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَعَاصِي، قاله ابن عباس.²²⁵

وقولهم: {لَا تَبْتَئُهُمْ مِّنْ بَيِّنٍ أُيْدِيَهُمْ}، يعني من الدُّنْيَا، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ}، من الآخرة، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}، من قبل حسناتهم، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}، من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس.²²⁶

وقولهم: {مِنْ بَيِّنٍ أُيْدِيَهُمْ} {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من حيث ينظرون، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}، من حيث لا يبصرون، قاله مجاهد.

وقولهم: {مِنْ بَيِّنٍ أُيْدِيَهُمْ}؛ فيما بقي من أعمارهم فلا يُقَدِّمُونَ عَلَى طَاعَةٍ، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ}؛ فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}؛ من قبل غناهم فلا يُنْفِقُونَهُ فِي مَشْكُورٍ، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}؛ من قبل فقرهم فلا يمتنعون عن محظور.

وقولهم: {مِنْ بَيِّنٍ أُيْدِيَهُمْ}؛ بسط أملهم، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} تحكيم جهلهم، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}؛ فيما يبسرلهم، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}؛ فيما تعسر عليهم.²²⁷

((4))؛ قوله تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}

دلالة بَيِّنٍ الْيَدِ وَالْخَلْفَ هُنَا دَلَالَةٌ مَكَانِيَّةٌ؛ أَي قُدَّامَهُمْ وَخَلْفَهُمْ، سِوَاءِ قِيلَ: أَنَّ الْمَعْقِبَاتِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْحَافِظُونَ مِنَ الشَّرِّ، أَوْ الْحَافِظُونَ لِلْأَعْمَالِ، أَوْ قِيلَ: أَنَّهُمُ الْحُرَّاسُ مِنَ الْبَشَرِ.²²⁸

((5))؛ قوله تعالى: {وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}

هذا من كلام جرير عليه السلام جواباً لرسول الله (ص) فعن ابن عباس (رض): أَنَّ النَّبِيَّ (ص)، قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَتَرَلْتُ: {وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: كَانَ هَذَا الْجَوَابَ لِمُحَمَّدٍ (ص)²²⁹، وَالْمُرَادُ أَنْ نَزَلْنَا فِي الْأَحْيَانِ لَيْسَ بِأَمْرِنَا بَلْ هُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا قُدَّامَنَا وَمَا خَلْفَنَا مِنَ الْجِهَاتِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، الْحَاضِرَةَ وَالْغَائِبَةَ، الْمَعْلُومَةَ وَالْمَجْهُولَةَ ... فليس بأيدينا أن نتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك الذي لا يجوز عليه الغفلة والنسيان.²³⁰

224 الطبري، جامع البيان، ج12/ص341؛ في ظلال القرآن، ج3/ص1267؛ زهرة التفاسير، ج5/ص2797

225 مقاتل، التفسير، دار إحياء التراث - بيروت، 1423 هـ، ج2/ص31؛ الطبري، جامع البيان، ج12/ص338

226 الطبري، جامع البيان، ج12/ص339

227 الماوردي، النكت والعيون، ج2/ص207

228 الرازي، مفاتيح الغيب، ج19/ص17؛ العزيرين عبد السلام، التفسير، ج2/ص146

229 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب قول الله، {وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}، ج9/ص135

230 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3/ص29

وقد ذكر المفسرون أقوالا هي فروع لما ذُكر؛ منها قولهم أنهما الدُّنيا والآخرة؛ أو الآخرة والدُّنيا؛ أو السماء والأرض؛ أو ما بين أيدينا؛ ما قابلناه وواجهناه، وما خَلَفْنَا: ما استدرناه وجاوزناه. وكل هذا على سبيل التمثيل.²³¹

((6)): قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَّخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ}

هذه الآية اتَّفَقَ المفسرون فيها: أنَّ المقصودَ إحاطةَ الله بهم بِقُدْرته عليهم؛ والمعنى: أفلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم؛ وهو السماء والأرض فإنهما أمامهم وخَلْفَهُم حيثما كانوا وساروا؛ ثم بيَّن المحذور المتوقع من جهتهما فقال: إِنَّ نَسْأًا نَّخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ كما خسفناها بقارون، أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيحايم ذلك بما ارتكبه من الجرائم.²³²

((7)): قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ}

هذه الآية مما اختلف فيه؛ هل هذا في الدُّنيا، أم الآخرة. وإذا كان في الدُّنيا: فهل المقصود بها؛ إضلال الله لهم وَمَنْعُ الهدى عنهم من كُلِّ جانب ووجهة بحيث لا يستطيعون للخير طريقا، أم المقصود بها حادثة الهجرة حين ائْتَمَرُوا عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ فَلَمْ يُبْصِرُوهُ ولم يجدوا السبيل إليه لا من بَيْنَ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ ولا من جهة من الجهات. وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى مُحَمَّدًا يصلي ليرْضُخَنَّ رَأْسَهُ؛ فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفع يده انْتَهَتْ إلى عُنُقِهِ وَلَزِقَ الْحَجَرُ بِبَدَنِهِ حتى فَكَّوه عنها بِجَهْدٍ، فرجع إلى قومهم فأخبرهم، فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر، فذهب فأعمى الله بصره. وقيل ما بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْآخِرَةُ وَمَا خَلْفَهُمُ الدُّنْيَا²³³

((8)): قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}

هذه الآيات الكريمة فيها دعوة للمخالفين بأن يتقوا عذابَ الله وسخطَه كُلَّهُ؛ الذي يعلمونه ويرونه أو الذي لم يعلموه ولم يروه، والذي يحيط بهم من كُلِّ جانب بسبب ذنوبهم الحاضرة والماضية والقادمة؛ وأقوال المفسرين تدور حول هذا؛ مثل قولهم: {مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} هو عقوبات الآخرة التي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ستأتي بهم وستنزل {وَمَا خَلْفَكُمْ} ما مضى من العقوبات التي نزلت بمن كان قبلكم؛ فصار ذلك وراءَ وخَلْفًا، يقول: احذروا ذلك.

وقولهم: {مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ}؛ ما يأتي من الذنوب، {وَمَا خَلْفَكُمْ}؛ ما مضى من الذنوب.

وقولهم: {مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} ذنوبكم التي عصيتم في الدُّنيا، {وَمَا خَلْفَكُمْ} ما تسنون أيضًا لمن بعدكم²³⁴

((9)): قوله تعالى: {إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، ومثله قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ ذَكَرْنَا أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُ قَوْمَهُ بِالْأَخْفَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ}

ومعنى الآية: أن الرُّسُلَ أتوهم من كُلِّ جانب، واجتهدوا بهم كُلَّ وسيلة، وأعملوا فيهم كُلَّ حيلة، لكنهم لم يروا منهم إلا العتو والإعراض²³⁵، أو في القُرى المُجَاوِرَةَ لِبِلَادِهِمْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَهُمُ الرُّسُلَ يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَرَأَوْا مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقَمِ، وَمَا أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ النِّعَمِ، وَمَعَ هَذَا مَا

231 الماوردي، التكت والعيون، ج3/ص382؛ السمعاني، التفسير، ج3/ص304؛ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج7/ص249

232 أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ج7/ص123؛ البروسوي، روح البيان، ج7/ص264

233 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج8/ص506؛ النسفي، مدارك التنزيل، ج3/ص97؛ الشوكاني، فتح القدير، ج4/ص415

234 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج8/ص524؛ الثعلبي، الكشف والبيان، ج8/ص129

235 الرمخشي، الكشف، ج4/ص191

أَمَنُوا وَلَا صَدَقُوا بَلْ كَذَّبُوا وَجَعَلُوا²³⁶

أو أنذروهم عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ²³⁷.... وكل الأقوال مُحْتَمَلَةٌ صَحِيحَةٌ.

((10)): قوله تعالى: {قَبِضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}

في الآية تأويلات كثيرة منها: الأول ما بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، قَالَه السُّدِّيُّ وَمَجَاهِدُ. الثَّانِي: مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ فَقَالُوا لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعثَ وَلَا حِسَابَ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَزَيَّنُوا لَهُمُ اللَّذَاتِ، قَالَه الكَلْبِيُّ. الثَّالِثُ: مَا بَيَّنَّ أَيْدِيَهُمْ هُوَ فِعْلُ الفِسَادِ فِي زَمَانِهِمْ، وَمَا خَلْفَهُمْ هُوَ مَا كَانَ قَبْلَهُمْ، حَكَاهُ ابْنُ عِيسَى. الرَّابِعُ: مَا بَيَّنَّ أَيْدِيَهُمْ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الطَّاعَاتِ أَنْ لَا يَفْعَلُوهَا، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَالِفِ المَعَاصِي أَنْ لَا يَتُوبُوا مِنْهَا²³⁸

((11)): قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا} الْجِن: 27

أَتَّفَقَ المفسرون تقريبا أن مَعْنَى الآية: أَنَّ اللهَ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الرِّسُولِ وَمِنْ خَلْفِهِ حَقَظَةً مِنَ الملائكةِ لِيُحِيطُوا بِهِ، وَيَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يَتْرَكَ بَعْضَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَوْ يُقَصِّرَ فِي تَبْلِيغِهِ، وَيَحْفَظُوا الوَحْيَ مِنْ أَنْ تَسْتَرْقَهُ الشَّيَاطِينُ، فَتَلْقِيَهُ إِلَى الكَهَنَةِ... فَيَكُونُ قَوْلُهُ: {مَنْ بَيَّنَّ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ} إِمَّا عَلَى الحَقِيقَةِ²³⁹، أَوْ هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ²⁴⁰، أَوْ {مَنْ بَيَّنَّ يَدَيْهِ} إِلَى الجِهَةِ الَّتِي يَعْلَمُهَا الرِّسُولُ، {وَمَنْ خَلْفَهُ} أَي الجِهَةِ الَّتِي تُغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ، فَصَارَ ذَلِكَ كِفَايَةً عَنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَهَذَا الرَّاجِحُ²⁴¹

الخاتمة

وفي نهاية هذه المقالة يتضح لنا جملة أمور منها:

(1) أَنَّ مَعْنَى «بَيْنَ يَدَيْكَ» أَي أَمَامَكَ، قُدَّامَكَ، قَرِيبَ مِنْكَ، وَبِلِجْقِهَا مَعَانٍ لَازِمَةٌ لَهَا مِثْلُ: «عِنْدَكَ» وَ«حَاضِرٌ» وَ«مُشَاهِدٌ» وَ«مَوْجُودٌ» وَهَذَا سِوَاءَ كَانِ فِي الزَّمَانِ أَوِ المَكَانِ. وَإِنَّ دَلَّ عَلَى الزَّمَانِ المَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ: فَالمَقْصُودُ المَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ القَرِيبِ.

(2) عَدَمُ صِحَّةِ قَوْلِ الإِمَامِ ابْنِ عَطِيَّةٍ: أَنَّ مَعْنَى «بَيْنَ يَدَيْ» مَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، لِأَنَّ غَيْرَ.

(3) دَلَالَةُ الآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى القُرْآنِ «مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» عَلَى: أَنَّ كُلَّ مَا فِي «الوَاقِعِ» الَّتِي بَيْنَ يَدَيْ القُرْآنِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ وَالحَقِيقَةِ.

(4) بِتَطْبِيقِ هَذَا المَعْنَى تَتَسَقَّى وَتَتَضَعُ مَعَانِي كُلِّ الآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَتْ عِبَارَةَ «بَيْنَ يَدَيْ».

236 ابن كثير، تفسير القرآن، ج7/154

237 ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ج4/148

238 الماوردي، النكت والعيون، ج5/177.

239 الطبراني تفسير القرآن العظيم: الطبري، جامع البيان، ج23/672: التفسير الواضح، ج3/765

240 الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4/353: أَلْطَفِيشِ، التفسير، ج11/449

241 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج20/502

المصادر:

- ابن أبي حاتم، التفسير، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، 1419هـ
- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي - بيروت، 1422 هـ
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت
- ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة
- ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكُتُب العلمية، بيروت
- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، 1984م
- ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة: 1419هـ
- ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكُتُب العلمية - بيروت، 1422
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكُتُب العلمية، بيروت
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر
- أبو الحسن المَجَاشِعِي، النكت في القرآن، دار الكُتُب العلمية - بيروت، 1428 هـ
- ابو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر - بيروت
- ابو داود، السنن، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- ابوزهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،
- الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت
- أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة الرسالة، 1421هـ
- اطفيش، تفسير اطفيش
- اطفيش، هميان الزاد
- الألوسي، روح المعاني، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1415 هـ
- البخاري، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت 1422 هـ
- بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكُتُب العلمية، 1424 هـ
- البروسوي، إسماعيل حقي، روح البيان، دار الفكر، بيروت
- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، 1418 هـ

- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1418 هـ.
- الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، دار الكُتُب العلمية – بيروت، 1417 هـ
- الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، دار الفكر- عمان، الأردن ، 1430
- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكُتُب العلمية – بيروت، 1415 هـ
- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنتر بن شداد - دار الكتاب العربي، بيروت، 1992،
- الخطيب الشربيني، السراج المنير ، مطبعة بولاق، القاهرة، 1285 هـ
- دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكُتُب العربية – القاهرة، 1383 هـ
- ديوان النابغة الذبياني، شرح حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991،
- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ
- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكُتُب، بيروت، 1988 م
- الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ
- السمعاني، تفسير السمعي، دار الوطن، الرياض، 1997
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، 1412 هـ
- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكُتُب العلمية بيروت – لبنان، 1403 هـ
- الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء. بيروت
- الشعراوي، التفسير ، مطابع أخبار اليوم، 1995 م
- شمس الدين الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1356 هـ
- شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب على البيضاوي: عنابة القاضي وكفاية الرازي، دار صادر – بيروت
- الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، 1414 هـ
- الطبراني، تفسير القرآن العظيم
- الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000 م
- الطريحي، مجمع البحرين ومطلع النيرين، مكتبة المرتضوي - طهران/ إيران، 1365 هـ
- العزبن عبدالسلام، التفسير، دار ابن حزم – بيروت، 1996 م
- العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكُتُب العلمية - بيروت ، 1415 هـ
- الفراء، معاني القرآن، الدار المصرية
- الفراهيدي، العين، دار هلال
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكُتُب المصرية، القاهرة، 1964 م

- القشيري، لطائف الإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر
 القنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412 هـ
 الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن -
 بيروت
 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الكُتُب العلمية، بيروت
 الماوردى، النكت والعيون، دار الكُتُب العلمية، بيروت
 محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة،
 1424 هـ
 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني - القاهرة، 1417 هـ
 مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، 2005 م
 المظهري، التفسير، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412 هـ
 مقاتل، التفسير، دار إحياء التراث - بيروت، 1423 هـ
 مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، 2008 م
 النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998 م
 النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415 هـ
 النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان دار الكُتُب العلمية - بيروت، 1416 هـ
 الواحدي، التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ